العرب
الأربعاء 2021/10/27
السنة 44 العدد 12222

بات من الترف والرفاهية دعوة الناس لاقتناء الكتب في دمشق

مكتبات ودور نشر دمشقية عريقة تكافح لإبقاء أبوابها مفتوحة وأخرى تندثر

تشهد المكتبات العريقة في مختلف الأقطار العربية تراجعا كبيرا دفع بعضها إلى الإغلاق أو تغيير النشاط، وفي سوريا يبدو أن هذه الظاهرة لها ملامح أكثر ألما، خاصة مع إغلاق مكتبات بعد عشرات العقود من العطاء، إضافة إلى إغلاق دور النشر وعدم توفر الكتب، وكلها ظواهر رسخها واقع صعب أمام الكتاب الذي وجد صناعه وتجاره أنفسهم بين الحرب وهيمنة التكنولوجيا والكتب الإلكترونية.

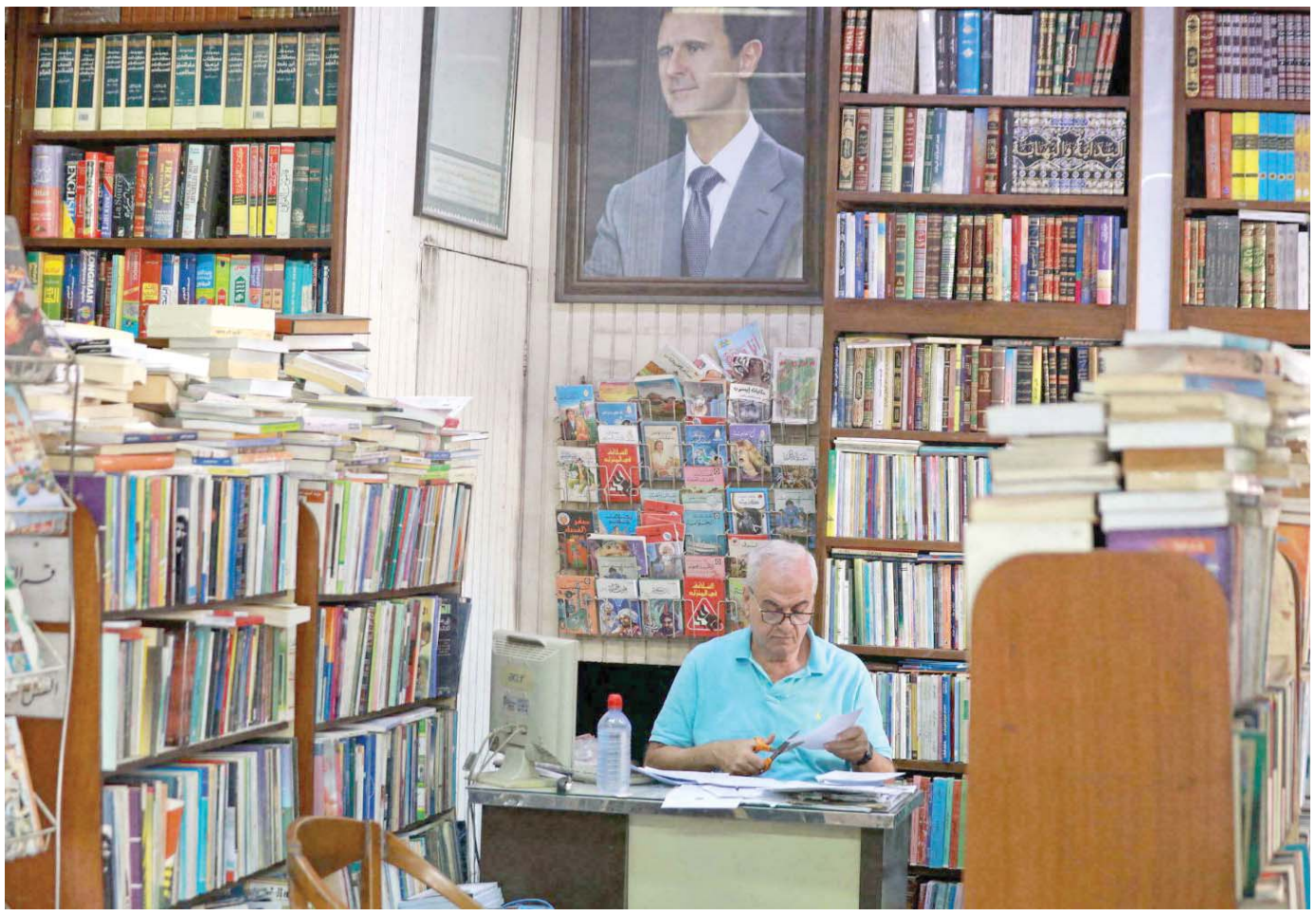

دمشق - في دمشق التي لطالما شكلت ملتقى للمثقفين، تكافح دور نشر عريقة من أجل إبقاء أبوابها مفتوحة بعدما اضطر العديد من المكتبات التي طبعت المشهد الثقافي إلى الإقفال وتحوّل بعضها إلى محال لبيع الألبسة أو الطعام.

ويقول محمّد سالم النوري (71 عاماً)، وهو ابن حسين النوري مؤسس واحدة من أقدم مكتبات دمشق، "نحمل اسم أقدم مكتبة في سوريا وكنا نرغب أن تبقى لأولادنا وأحفادنا، لكن وضع القراءة والثقافة تراجع كثيرا".

> الأولويات تنصبّ على الغذاء والسكن وهيمنة التكنولوجيا، وارتفاع سعر الكتاب جعل الناس يحجمون عن شرائه

وتدير عائلة النوري حالياً مكتبتين في دمشق، تأسست إحداهما عام 1930. في المكتبة القائمة في شارع البريد يُشرف النوري على عمليات البيع الخجولة، ويبدي خشيته لأن "مكتبة النوري مهدّدة بالإغلاق، وكذلك الأمر بالنسبة إلى باقي المكتبات"، ذلك أنّ "الناس لا تستطيع تحمّل نفقات القراءة، والمكتبات لا تستطيعُ تغطية مصاريفها".

قبل ثلاثة أعوام، اضطرت العائلة إلى إغلاق مكتبة أسّستها في دمشق عام 2000 وحملت اسم "عالم المعرفة". أوصدت أبوابها لكن الكتب داخلها ما زالت على حالها، تملأ الرفوف ويكسوها الغبار. وعلى مكتب خشبي، تحتفظ عائلة النوري بصور قديمة لأفراد العائلة ولأبرز زائري المكتبة من سياسيين وفنانين وشعراء.

وجاء القرار بعدما أرهقتها سنوات الحرب التي تشهدها سوريا منذ العام 2011، ولم تعد قادرة على "تحمل نفقاتها الماديّة"، وفق النوري.

وتسارعت خلال السنوات الأخيرة وتيرة إقفال المكتبات وتقليص دور نشر ذائعة الصيت لإنتاجها وعدد موظفيها بعدما أغنت المكتبة العربية بمؤلفات وترجمات.

في الشهر الماضي ودّعت مكتبة نوبل العريقة المشهد الثقافي، لتسير على خطى مكتبة اليقظة العربية التي تأسست عام 1939 وافتُتح مكانها متجر لبيع الأحذية، ومكتبة ميسلون التي باتت مركز صرافة ومكتبات أخرى اندثرت تباعاً.

إلى جانب الأسباب الاقتصادية يشير سامي حمدان (40 سنة)، وهو من الجيل الثالث الذي تعاقب على إدارة دار ومكتبة اليقظة العربية، "دفعت التكنولوجيا أجيالاً كاملة نحو الكتب الإلكترونية، وأبعدتها عن الكتاب الورقي".

عند إقفالها عام 2014 كانت دار اليقظة قد طبعت أكثر من 300 كتاب واضطرت إلى تصفية عشرات الآلاف من النسخ.

وبحسب حمدان "أجهزت الحرب على ما تبقى" من مشهد ثقافي كان قد بدأ بالتراجع أساساً، على حد قوله. ويشرح "لم نكن بمنأى عن التحول العالمي نحو الرقمنة، لكن خلال الحرب، لم يرغب أحدٌ باستثمار أمواله في مكتبة".

ودفع عقد من الحرب نحو تسعين في المئة من السوريين تحت خطّ الفقر. وبات هؤلاء يكافحون لتأمين قوتهم اليومي واحتياجاتهم الأساسية وسط أزمة اقتصادية خانقة وشحّ في المواد الأولية وتدهور قيمة العملة المحلية مقابل الدولار، ما انعكس سلباً على القطاعات الإنتاجية كافة بينها الطباعة.

ويرى خليل حداد (70 عاماً)، وهو أحد القيمين على مكتبة دار أسامة للنشر والتوزيع التي تأسست عام 1967 وتكافح من أجل إبقاء أبوابها مفتوحة، "إنه لمن الترف والرفاهية أن ندعو الناس لاقتناء الكتب في هذه الظروف، وأولويات الناس تنصبّ على الغذاء والسكن".

يواظب الرجل الذي أمضى عمره بين الكتب والمكتبات على الحضور إلى مكان عمله رغم أنه تمرّ أيام "لا نبيع فيها كتاباً واحداً".

ويشرح كيف أنّ "غلاء الأسعار وارتفاع تكاليف الورق والطباعة، وصعوبات لوجستية مثل انقطاع الكهرباء، أدت إلى ارتفاع سعر الكتاب وإحجام القراء عن الشراء".

قبل ستّ سنوات، تحوّلت مكتبة دار دمشق الشهيرة التي تأسست عام 1954 إلى مكتبة لبيع القرطاسية، في محاولة للحفاظ عليها. لكن على بابها الخشبي القديم، يعلّق عامر تنبكجي إبن مؤسس الدار اليوم لافتة "برسم التسليم"، ليُعلن بذلك قرب نهاية مسيرة دامت نحو سبعين عاما.

ويوضح تنبكجي (39 سنة) "نحن بصدد بيعها في حال توفّر الراغب"، رغم "أنني أشعر بالحزن إذا ما تحوّلت إلى أيّ شيء آخر".

على غرار دور نشر أخرى، تراجعت تدريجياً قدرة الدار على الطباعة وكذلك استيراد كتب من الخارج على وقع انهيار الليرة وعراقيل أفرزتها العقوبات الاقتصادية على سوريا.

وبعدما كان يدخل نحو 800 مطبوعة يومياً إلى سوريا قبل بدء النزاع، لا يتجاوز عدد المطبوعات حالياً الخمس، بحسب زياد غصن، المدير السابق لمؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، الرسمية في سوريا.

ويقدر ازدياد تكلفة الورق والطباعة خلال العامين الأخيرين بنحو 500 في المئة على الأقل، عدا عن زيادة أجور النقل واليد العاملة بنسبة تزيد عن مئة في المئة.

وحرمت جائحة كوفيد – 19 السوريين من متعة قراءة الصحف الورقية اليومية، بموجب قرار أصدرته وزارة الإعلام في مارس 2020، ما زال ساريا حتى اللحظة.

من مكتبة كبيرة في شارع رئيسي في دمشق إلى قبو صغير، نقلت ناشرة دار أطلس سمر حداد قبل سنوات إرث والدها سمعان حداد الذي أسس الدار عام 1955 واعتاد عرض "نفائس الكتب وآخر الإصدارات والترجمات".

مع موظف وحيد بدوام جزئي، تحاول حداد دفع عجلة طباعة الكتب وإن بصعوبة، لتحافظ على وتيرة إصدار سبعة كتب سنوياً عوضاً عن أكثر من 25 على الأقل قبل الحرب.

وتوضح "ما لاحظناه في سنوات الحرب هو خسارتنا لجزء كبير من قرائنا.. سافر الكثير منهم".

ورغم ذلك، فإن ما يدفعها للمواظبة على العمل هو الحفاظ على إرث والدها. وتقول بنبرة حاسمة "محاولاتنا مستميتة للبقاء، لن أغلق مكتبة دار أطلس".

ما عاد أحد يشتري الكتب

نادي العويس السينمائي يناقش ثلاثة أفلام

دبي - تطلق مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية مساء الخميس الثامن والعشرين من أكتوبر الجاري باكورة أنشطتها في "نادي العويس السينمائي" الذي يشكل إضافة إلى اهتمامات المؤسسة بالشأن الثقافي والارتقاء بالذائقة البصرية لدى الجمهور، من خلال عرض ومناقشة أفلام إماراتية أو عربية أو عالمية، خاصة تلك الأفلام التي تنال الجوائز والتكريمات الدولية، غير أنها، في كثير من الأحيان، لا تعرض جماهيرياً.

ويعرض نادي العويس السينمائي مجموعة من الأفلام القصيرة للمخرج صالح كرامة العامري والتي تشكل في مجملها تجربة غنية للتوثيق المحلي عبر عين سينمائية صديقة للحياة، حيث سيعرض فيلم "توزيعة" الذي تم تصنيفه في مهرجان برلين السينمائي "أفضل فيلم قصير" وصعد إلى قائمة أفضل الأفلام في المكسيك.

> «نادي العويس السينمائي» يسعى لمناقشة الأفلام التي تنال الجوائز والتكريمات الدولية ولا يتاح عرضها للجمهور

ويحكي عن صبية يلعبون الكرة في الحي الشعبي وتطير كرتهم خارجا إلى طريق الإسفلت وتصادف مرور سيارة مسرعة تدهس الكرة لتنهي لعبتهم البريئة ويعودون أدراجهم إلى بيوتهم، تصور الكاميرا هذه الخيبة على وجوه الأطفال، وهذا الفيلم يكسب أهميته من فلسفة الفقد وكيف تكتسح الآلة البراءة.

أما الفيلم الثاني "خارجي على السطح" فيتحدث عن فتاة تنشر غسيلها على سطح بيتها في حي شعبي وهي ترتدي الثياب التقليدية وتضع على رأسها الشيلة، وفجأة تهبّ عاصفة تطير شيلتها. فتلجأ إلى تناول شرشف أبيض من الغسيل الذي تنشره وتضعه على رأسها عبر حركة عفوية، وتوثق الكاميرا دور البساطة في رصد رد الفعل ضمن إطار من الإيحاءات النفسية والاجتماعية.

الفيلم الثالث الذي سيعرض في النادي بعنوان "سايرين الغوص" وهو فيلم وثائقي يحكي طريقة الغوص قديما في الخليج عبر مجموعة من الأشخاص الذين ينتمون إلى جيلين مختلفين حيث يرافق الأبناء الآباء في رحلة تعيد للذاكرة مهنة الأجداد، وتصور الكاميرا الأدوات المستخدمة في الغوص وفلق المحار والقفال أي العودة إلى البر عبر صوت النهام.

الأفلام الثلاثة ستعرض بحضور المخرج صالح كرامة العامري والناقد عبدالله حسن وتتاح الفرصة للحوار مباشرة مع المخرج ومناقشته بما يغني ويفيد الجمهور.

يذكر أن "نادي العويس السينمائي" يعد أول تجربة من نوعها في هذا الميدان تقدمها مؤسسة العويس الثقافية لمتابعي أنشطتها بشكل عام، كما ستعرض خلال النادي الأفلام التي تنتج بجهود فردية وبسيطة وبشكل مستقل والتي تكشف عن مواهب غنية في ميدان التصوير أو كتابة السيناريو أو في ميدان النقد السينمائي.

«توزيعة».. أطفال في مواجهة الآلة

«ذاكرات».. مهرجان تونسي يعيد للحكايات مكانتها

المنستير (تونس) - تنطلق يوم الحادي والثلاثين من أكتوبر الجاري بمحافظة المنستير التونسية الدورة الثانية من المهرجان الدولي لفنّ الحكاية "ذاكرات" الذي يستضيف مجموعة من الحكائين من تونس، المغرب، الجزائر، الكونغو، وفرنسا يقدمون حكاياتهم للجمهور.

ويكرم المهرجان الفنانة منى نورالدين والفنان علاء الدّين أيوب. ويقدم إلى غاية الثالث من نوفمبر عروضه الحكائية الجماعية للأطفال في كامل أرجاء المحافظة، وذلك بالمكتبات العموميّة ودور الثّقافة وفضاء روسبينا للمسرح، يؤثثها مجموعة من الحكائين المحترفين إضافة إلى مجموعة من الحكواتيين الأطفال الذين تم تكوينهم خلال مرحلة التكوين.

وينظم المهرجان مائدة مستديرة حول "دور مهرجانات الحكاية في حفظ الذاكرة الشعبية" علاوة على العروض الغنائية مثل عرض "الغنجة" للفنّان العروسي الزّبيدي.

"وذاكرات" هو مشروع ثقافي يهتمّ بتجميع الحكايات والتدريب في تقنيات فنّ الحكي وطرقه، من تنظيم الفضاء الثّقافي المستقل "فضاء روسبينا للمسرح" بتمويل من برنامج "تفنّن – تونس الإبداعيّة" وبشراكة مع المندوبيّة الجهويّة للشّؤون الثّقافية والمندوبيّة الجهويّة للتّربية والمكتبة الجهوية وجمعيّة أحباء المكتبة والكتاب في المنستير.

ينقسم مشروع "ذاكرات" إلى ثلاث مراحل، حيث تهتمّ المرحلة الأولى والتي امتدّت من السابع من ديسمبر 2020 إلى الحادي والثلاثين من نفس الشهر، بتكوين 44 مكوّنا من أعمار مختلفة، ينتمون لمسالك ومشارب واختصاصات متعدّدة، بينهم شباب مهتمون بفنّ الحكاية، مربّون، مكتبيّون، مؤطرون بدور الثّقافة، حقوقيون، مهندسون، شاركوا في عدد من الورشات وهي ورشات التّكوين في تجميع الحكايات تمّ برمجتها عن بعد وأطرتها الفنّانة الحكواتيّة الجزائريّة جميلة حميتو، ورشات التّكوين في طرق وتقنيّات فن الحكي تمّ تأطيرها من طرف مجموعة من الفنّانين الحكواتيين التّونسيين أمثال صالح الصويعي، يوسف البقلوطي، خالد شنان، هدى بن عمر، علاء الدين أيوب، فوزي اللّبان ورائدة القرمازي.

فيما اهتمّت المرحلة الثّانية بتكوين الأطفال وذلك من العاشر من يناير 2021 إلى الحادي والثلاثين من يونيو، وشملت زهاء 80 ورشة شاركت فيها المؤسسات التعليميّة والمكتبات العمومية ودور الثقافة.

وتمّ في هذه المرحلة تكوين 1000 طفل وطفلة في مناطق متعدّدة من محافظة المنستير من طرف المجموعة الّتي تلقت تكوينا في المرحلة الأولى مع إعطاء أولويّة للمؤسسات التّعليميّة الموجودة في المناطق المحرومة البعيدة عن مراكز المدن والأحياء الشعبية.

وتركّز تكوين التّلاميذ على تقنيات فنّ الحكي وطرقه مع إعطاء أهميّة خاصة لتجميع الحكايات لتحسيس الأطفال بأهمية التراث اللاّمادي ولتعميق التّواصل مع الأجيال السّابقة لحماية هذا الإرث الحضاري من الاندثار.

أما المرحلة الثالثة من المشروع فهي تنظيم "مهرجان ذاكرات" والذي انقسم على جزأين بسبب الوضع الصحي، الجزء الأول هو مهرجان ذاكرات "التّلمذي" والّذي انتظم من السادس والعشرين من مايو إلى الثلاثين منى يونيو 2021، وتمّ خلاله تقديم نتاج الورشات بالنسبة إلى كل مؤسسة مشاركة أمام جمهور من التلاميذ والأولياء ضمن أيام مفتوحة داخل كل مؤسسة.

> «ذاكرات» مشروع ثقافي يهتمّ بتجميع الحكايات والتّدريب على فنّ الحكي حفاظا على التراث اللامادي

أمّا الجزء الثاني فهو الدورة الثانية للمهرجان الدّولي لفن الحكاية بالمنستير "ذاكرات"، وذلك بداية من الحادي والثلاثين من أكتوبر إلى الثالث من نوفمبر 2021.